مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

تحليل الفكاهة في الشعر الأندلسي يحيى بن الحكم الغزال أنموذجاً

م. م. عمار حاتم صاحب العبيدي [1]
[1] جامعة الكوفة كلية – العلوم السياسية
amarh.al-obaidi@uokufa.edu.iq

الملخص. تعد الفكاهة من الأساليب النوعية التي يستخدمها الشعراء لتوضيح الآراء وكشف الغايات بأسلوب ساخر يظهر النظرات الفلسفية والتفاوت بين الناس، حيث يسخر من بعض جوانب الحياة والمفاهيم السائدة، وتعد الفكاهة والسخرية من العناصر الأساسية في إنتاج يحيى الغزال الشعري، وهو أسلوب يستخدمه الشاعر ليعبر عن رؤاه الفلسفية إزاء الحياة، مثل: فكرة حب المرأة لشخص عجوز، إذ يرى أن ذلك مستحيل وغير منطقي، والمقارنات والتفاضل بين الضدين، مثل: الصبر والشر، فضلاً عن التحذير من الفقر، مثل: المقارنة الشعرية بين الفقر والموت، مستخدماً لغة قوية تعبر عن استيلاء الفقر على الناس وخوفهم منه، مما يدل على الحكمة في التعبير الشعري، ويعكس تأثر الغزال بشعراء آخرين، مثل: أبي نواس، مما قد يفسر بعض جوانب التميز في أسلوبه الشعري وفهمه للفكاهة والسخرية.

الكلمات المفتاحية: الغزال، الفكاهة، السخرية، الشعر، الأندلس.

Abstract. Humor is a specific technique used by poets to clarify opinions and reveal goals in a sarcastic manner that reveals philosophical perspectives and the disparities between people. Humor and sarcasm are essential elements in Yahya al – Ghazali's poetic output. It is a style the poet uses to express his philosophical views on life, such as the idea of a woman loving an old man, which he considers impossible and illogical. It also uses comparisons and contrasts between opposites, such as patience and evil. It also warns against poverty, such as the poetic comparison between poverty and

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

death. This powerful language expresses the grip of poverty on people and their fear of it, demonstrating wisdom in poetic expression. It also reflects al – Ghazali influence by other poets, such as Abu Nuwas, which may explain some of the distinctive aspects of his poetic style and his understanding of humor and sarcasm.

Keywords: Ghazal, humor, sarcasm, poetry, Andalusia.

المقدمة

يحظى الشعر الأندلسي بمكانة بارزة في المدونة الأدبية العربية، إذ لم يكن مجرد امتداد للشعر المشرقي، بل كان نتاجاً لتفاعل البيئة الأندلسية وثقافاتها المتنوعة، مما أفرز خصوصيات أسلوبية وموضوعية متميزة، ومن أبرز هذه الخصوصيات ظهور الفكاهة بوصفها ظاهرة فنية وأدبية تفاعلت مع الواقع الاجتماعي والسياسي والنفسي للإنسان الأندلسي، لا بوصفها عنصرًا ترفيهياً، وتعد الفكاهة في الشعر الأندلسي أداة تعبير متقنة، وظفها الشعراء للترويح، والسخرية، والنقد، والتقارب الإنساني، وبلغت في بعض النماذج حداً من العمق والذكاء الفني الذي يكشف عن قدرة الشاعر على المزج بين البساطة والبلاغة. وفي هذا السياق، يبرز اسم يحيى بن الحكم الغزال، أحد أوائل شعراء الأندلس، الذي عرف بفصاحته، وسرعة بديهته، وحضوره الطريف في الحياة الأدبية والسياسية لعصره.

أهمية الدراسة

تنبثق أهمية الدراسة من مظاهر الفكاهة في شعر الغزال، وتحليل أساليبها، واستكشاف دلالاتها، ووظائفها، انطلاقاً من منهج تحليلي أسلوبي، يأخذ بعين الاعتبار البعدين النصي والسياقي.

إشكالية الدراسة

تنطلق الدراسة من إشكالية مفادها: "ما هي السمات الأسلوبية والبلاغية للفكاهة في شعر الغزال؟"، وعلى هذه الأساس تبرز مجموعة من الأسئلة الفرعية، هي:

1- ما الأغراض الشعرية التي استُخدمت فيها الفكاهة؟
2- ما العلاقة بين الفكاهة والسياق الاجتماعي والسياسي في شعر الغزال؟
3- هل تعكس الفكاهة موقفاً نقدياً أو فلسفياً لدى الشاعر؟

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

فرضة الدراسة

تطلق الدراسة من فرضية أساسها أن الفكاهة في شعر الغزال ليست مجرد طرافة شكلية، بل تحمل في مضامينها أبعاداً ثقافية واجتماعية ونفسية، إذ تعبر عن رؤية الشاعر للعالم، وتكشف عن ملامح الشخصية الأندلسية في طورها التكويني.

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي – الأسلوبي، مدعوماً بقراءة سياقية تاريخية، وذلك من خلال تحليل نماذج مختارة من شعر الغزال، مع الاستعانة بالمصادر التاريخية والنقدية التي تسلط الضوء على البيئة الأندلسية في عصره.

هيكلية الدراسة

تتشكل الدراسة من الملخص، والمقدمة، والخاتمة، فضلاً عن ثلاثة مطالب، في المطلب الأول: "الإطار النظري والمفاهيمي للفكاهة". والمطلب الثاني: "حياة وشعر يحيى بن الحكم الغزال". والمطلب الثالث: "مظاهر الفكاهة في شعر الغزال". والمطلب الرابع: "الدلالات الوظيفة الترفيهية والساخرة للغزال".

1 .المطلب الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للفكاهة

توصف الفكاهة بأنها ظاهرة لغوية وسلوكية تقوم على إثارة الضحك أو التسلية عبر طرائق تعبيرية متعددة، تتراوح بين الطرافة اللفظية، والمفارقة، والسخرية، والمبالغة، وهي ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل تعد أداة تواصل تحمل أبعاداً نفسية واجتماعية وثقافية، تسهم في تفريغ التوتر والتعبير عن المواقف بطريقة غير مباشرة، واختلفت تعريفات الفكاهة بين الحقول المعرفية؛ ففي حين ركز علم النفس على وظيفتها الانفعالية، اهتم علم اللغة بأساليب إنتاجها، وانشغل النقد الأدبي بدراسة أثرها الجمالي في النص.

1.1. مفهوم الفكاهة وأنواعها

تعد الفكاهة من الظواهر الثقافية المتجذرة في الوعي الإنساني، وتنوعت مفاهيمها بحسب السياقات المعرفية، ففي المجال الأدبي تفهم الفكاهة بوصفها خطاباً يستثمر آليات السخرية والطرافة والمفارقة لإنتاج أثر جمالي ونفسي لدى المتلقي، مثل: الفكاهة اللفظية التي تقوم على التلاعب بالألفاظ والمعاني، والفكاهة الموقفية المرتبطة بالسياقات الحياتية، والسخرية الإجتماعية التي تعبر عن نقد غير مباشر

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

للواقع، وقد بين "عز الدين إسماعيل" أن "الفكاهة ليست مجرد ترف لغوي، بل هي موقف من الحياة، يتوسل الأدب ليكشف عن التناقضات واللامعقول بأسلوب فني خفيف الظل وعميق الدلالة" (إسماعيل، 1999: ص212).

وشهد التراث العربي قبل الأندلس حضوراً للفكاهة في فنون النثر، مثل: الحكايات والأخبار، والشعر، وتجلت الفكاهة عند شعراء العصر الجاهلي والإسلامي في صور متعددة، أبرزها التهكم والهجاء الساخر، كما في بعض أشعار الحطيئة وجرير، وعدت الفكاهة أداة فنية للترويح من جهة، وللتعبير عن النقد الاجتماعي، وفي هذا السياق يشير "شوقي ضيف" إلى أن "الفكاهة كانت تمثل عند العرب الأوائل حاجة إنسانية، يعبر بها الأديب عن تفاعله مع بيئته، وقدرته على النفاذ إلى أعماق الواقع بأسلوب يمزج بين الجد والهزل" (ضيف، 1987: ص45).

وتميز المجتمع الأندلسي بخصوصية ثقافية حيث امتزجت فيه المؤثرات العربية بالمكونات الأمازيغية، والرومانية، والإسلامية، مما أفرز واقعاً أدبياً يتسم بالحيوية والتنوع والانفتاح، وكان المزاج الأندلسي ميالاً إلى المرح والأنس، بفعل الطبيعة الخلابة للأندلس، وانتشار المجالس الأدبية التي شجعت على التفكه والتنافس الشعري، في بيئة يغلب عليها الترف والرقي الحضاري، وقد وصف "إحسان عباس" الأندلس بأنها "بيئة شعرية بطبعها، تتغذى من جمال الطبيعة وثراء الحياة الإجتماعية، مما جعل من الشعر وسيلة للتعبير عن البهجة كما عن القلق والتأمل" (عباس، 1983: ص19).

وقد عرفت الأندلس على مستوى العلاقات الإجتماعية مجتمعاً مدنياً متنوعاً، حيث تداخلت فيه طبقات مختلفة من العرب، والبربر، والموالي، والمستعربين، مما أوجد ديناميكية اجتماعية وثقافية غنية، ساعدت على ازدهار الخطاب الفكاهي والنقدي في الأدب، بوصفه وسيلة للتفاعل مع الواقع وإعادة إنتاجه بأسلوب ساخر، ويؤكد ذلك "زيغريد هونكه" أن "الحياة الثقافية في الأندلس بلغت ذروة نضجها حين استطاعت أن توظف الأدب في مختلف ميادين الحياة، من التسلية إلى الفلسفة، ومن الجد إلى الهزل (هونكه، 1993: ص278).

2. المطلب الثاني:حياة وشعر يحيى بن الحكم الغزال

يعد "يحيى بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص" المعروف بـ"الغزال"، واحداً من أوائل شعراء الأندلس الذين برزوا في مطلع القرن الثالث الهجري الموافق التاسع الميلادي.

2.1. حياة الغزال

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ولد في قرطبة حوالى سنة 180هـ – 796م، وعاش في ظل الدولة الأموية في الأندلس خلال عهدي "الحكم بن هشام وعبد الرحمن الأوسط"، وهو العصر الذي شهد استقرار الدولة سياسياً وتوسعها ثقافياً، وتميز الغزال بثقافة واسعة حيث جمعت بين علوم اللغة والأدب، بالإضافة إلى خبرته في السياسة والدبلوماسية، إذ أوفده الخليفة "عبد الرحمن الأوسط" سفيراً إلى القسطنطينية، وإلى بلاط الفرنجة، مما يدل على مكانته الرفيعة وثقة الدولة به، وقد انعكست شخصيته المتفتحة وروحه المرحة في شعره، الذي جمع بين الرقة، والفكاهة، والجرأة، فكان لسان حال عصره، ومعبراً عن مزاج الأندلس الحضاري في بداياته، ويذكر المؤرخ الأندلسي "أحمد بن محمد المقري" أن الغزال "كان فصيح اللسان، حاضر البديهة، طروب المجلس، جمع بين الأدب والكياسة، وساد قومه بالشعر والبلاغة (المقري، 1968: ص185).

2.2. مكانة الغزال في الأدب الأندلسي

شغل "يحيى بن الحكم الغزال" موقعاً في بدايات الأدب الأندلسي، إذ يعد من أوائل الشعراء الذين تجاوزوا التقليد الحرفي للشعر المشرقي، وأسهموا في بلورة خطاب شعري يعكس خصوصية التجربة الأندلسية الناشئة في القرن الثالث الهجري، وامتاز الغزال بقدرته على الجمع بين الجزالة والظرف، وبين رصانة الفكرة وسلاسة التعبير، ما جعله يحظى بتقدير معاصريه ولاحقيه من النقاد والأدباء، كما أن سيرته الثقافية والدبلوماسية أضفت على شعره بعداً عالمياً، فقد كان الغزال شاعراً وسفيراً ومثقفاً، عبر عن روح الأندلس المزدهرة والمنفتحة على العالم، وهو ما يظهر في شعره الذي تميز بخفة الظل، والقدرة على التعريض السياسي، والمرونة البلاغية التي تواكب مجالسه الأدبية المتنوعة، وأشار "حسن إبراهيم حسن" أن الغزال "مثل الطليعة الأولى للشعر الأندلسي المطبوع بروح الأندلس الخاصة" (حسن، 1964: ص200).

واعتبر "إحسان عباس" أن الغزال أحد "الرواد الذين ساهموا في تكييف القصيدة العربية مع الذوق الأندلسي المحلي، فابتعدوا عن تقليد البداوة وتقاليد الصحراء، واتجهوا إلى تصوير الواقع الحسي والاجتماعي بطرائق تجمع بين الذكاء والطرافة" (عباس، المرجع السابق، ص33).

إن حضور الغزال في الذاكرة الأدبية يعود إلى شخصيته المتفردة، فقد كان شاعراً وظريفاً وسفيراً، وبهذا المعنى، فإن مكانته لا تقتصر على جانب فني فحسب، بل تتعداها إلى تمثيل التحول الثقافي والسياسي الذي شهدته الأندلس في عصرها الأموي.

2.3. ملامح عامة من شعر الغزال

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

يتسم شعر "يحيى بن الحكم الغزال" بسمات أسلوبية ومعنوية تجمع بين التقليد والتجديد، مما يجعل تجربته الشعرية تمثيلاً حياً لمرحلة انتقالية في الأدب الأندلسي، فمن الناحية الفنية يظهر في شعره وضوح التعبير ورقة الألفاظ، إلى جانب براعة في التصوير البياني، وقد تأثر في بداياته بالشعر الأموي غير أنه استطاع أن يطور القالب التقليدي ليتماشى مع الذوق الأندلسي، والذي كان يميل إلى الخفة، والسرعة، والمباشرة في المعنى، ما يعكس طبيعة الحياة الأندلسية الحضرية ومن أبرز ما يميز شعر الغزال هو الطابع الفكاهي والظرف البديهي، وهو ما ارتبط بشخصيته الدبلوماسية وروحه المرحة، وقدرته على المزاوجة بين الجد والهزل في شعره، مما أكسبه جماهيرية في المجالس الأدبية، وقد لخص "إحسان عباس" هذه الملامح بدقة قائلاً: "امتاز شعر الغزال بالسلاسة والطرافة، وارتبط بصاحبه ارتباطاً عضوياً، فكان مرآة لروحه المشرقة، وسجلاً حياً لحياته الإجتماعية، وهو أول من أعطى للشعر الأندلسي نكهته المستقلة، على الرغم من استناده إلى التقليد المشرقي" (عباس، المرجع السابق، ص34).

وإذا كان الشعر في العصر الأموي في الاندلس وسيلة تعبير ثقافي واجتماعي، فإن الغزال جسد هذه الوظيفة بأجلى صورها، من خلال شعر يعبر عن الوعي الفردي، ويستجيب للمحيط الحضري للأندلس الوليدة، بكل ما فيه من تنوع وحيوية.

3. المطلب الثالث: مظاهر الفكاهة في شعر الغزال

تعد الفكاهة اللفظية أحد أبرز الملامح الأسلوبية في شعر "يحيى بن الحكم الغزال"، حيث اعتمد الشاعر على التلاعب بالألفاظ، والازدواج الدلالي، والتورية، والإيجاز المولد للطرافة، مما منح شعره بعداً ترفيهياً وجمالياً في آنٍ واحد. ولم تكن هذه الظاهرة محض لعب لغوي، بل كانت وسيلة ذكية للتخفيف من حدّة النقد، وتمرير رسائل اجتماعية وسياسية تحت غطاء المزاح.

3.1. أمثلة على الفكاهة اللفظية في شعر الغزال

يشير "يحيى بن الحكم الغزال" قائلاً: "أراك تُعادي الشعرَ وهو مُعينُك وتزعمُ أن لا فضلَ فيهِ ودِينُك كأنك إذ تُملي الهجاءَ بمدحه تقول: خذوا ما ليس منه وخونوهُ!"، فهنا يدمج الشاعر بين السخرية اللفظية والمفارقة المعنوية، ليحول الموقف إلى لحظة طرافة أدبية تثير الضحك والفكر معاً (الداية، 1993: ص12). ويمثل التلاعب بالألفاظ والمفارقة أحد الأساليب الفنية البارزة في شعر "يحيى بن الحكم الغزال"، حيث يظهر الشاعر براعة لغوية المدرسة البلاغية التي ازدهرت في القرن الثالث الهجري، دون أن تقع في التكلف أو الغموض، إذ اعتمد على ازدواج المعنى، والتورية الذكية، والمفارقة السياقية التي

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

توهم القارئ بمعنى أولي، ثم تفاجئه بانقلاب دلالي يحمل طابعًا ساخراً أو نقدياً، الأمر الذي يكسب النص عمقاً دلالياً وبهجة فنية في آنٍ واحد. إذ يشير، قائلاً: "وقد زعمت ليلى بأني فاجرٌ وما بي من فِجرٍ سوى حبّها لها" (عباس، المرجع السابق، ص38)، ونلاحظ المفارقة بين التهمة والاعتراف في قالب يضحك المتلقي من ذكاء التبرير وسخريته.

إن السخرية بوصفها أداة تعبير في شعر الغزال ليست أداة للتندر فقط، بل وسيلة تعبير نقدي راقٍ، يعبر بها عن موقف من العالم أو الأشخاص أو الظواهر الإجتماعية، بلغة غير مباشرة، تخفف من حدة النقد من دون أن تضعف رسالته، وقد وظف الغزال السخرية في الغزل، والمناسبات، والتقريظ والهجاء، بأسلوب قائم على الذكاء والمفارقة أكثر من القسوة أو العنف، مما جعل سخريته محبوبة ومقبولة في الأوساط الأدبية. كما في قوله عن أحد المتفاخرين: "تُطيلُ افتخارًا بالذي لم تفعلهُ كأنك أبدعتَ الغزاةَ وأنتَ ساكنُ" (الغزال)، وهذا النوع من السخرية يصور الادعاء الخاوي بأسلوب طريف يدفع القارئ إلى الضحك، ثم إلى التأمل، وفي هذا السياق، يرى "علي الجندي" أن "السخرية عند الغزال كانت وسيلة فنية لإعادة ترتيب الواقع على نحو أكثر خفة وصدقاً، ولهذا جاءت سخريته عميقة دون أن تفقد روحها المرحة" (الجندي، 2001: ص62).

وتميز شعر "يحيى بن الحكم الغزال" باستخدام الفكاهة ليس فقط كوسيلة للتسلية أو الترفيه، بل كأداةٍ فنية عميقة للنقد الاجتماعي والسياسي، عكست وعي الشاعر بقضايا عصره، وجرأته في التعبير عن المواقف بصورة غير مباشرة، فقد كان الغزال قريباً من البلاط الأموي في الأندلس، وشغل مناصب دبلوماسية رفيعة، ما مكنه من الاطلاع على مكامن الخلل في بنية السلطة والمجتمع، فحول هذا الوعي إلى سخرية ذكية، تنتقد مظاهر النفاق، والتصنع، والادعاء، دون أن تفقد النص روح الأدب أو حدود المقبول في السياق السياسي الحساس، ويلاحظ أن الغزال يخفي نقده خلف نصوص ظاهرها المزاح، وباطنها التعريض، فيمارس وظيفة مزدوجة إضحاك المتلقي، وتنبيهه إلى خلل أو تناقض، ومن أمثلة ذلك منتقداً رجلاً يتفاخر بما لا يملك: "إذا ما افتخرتَ، فاذكر الفعلَ واحدًا ودعكَ من الأمجادِ لمّا تُمارسِ" (الغزال، المرجع السابق)، وهذا البيت يعكس النقد الطبقي والاجتماعي لمظاهر التفاخر والفراغ السياسي، في شعر ساخر يخفف من حدته ببلاغة الإيقاع.

وأشار "عز الدين إسماعيل" بقوله: "كان الغزال يرى في الفكاهة وسيلة للتخفيف من وطأة الواقع، لكنه استخدمها أيضاً سلاحاً هجومياً حين يتطلب المقام ذلك، فجمع بين التهكم والسخرية بوصفهما تقنيتين للكشف عن زيف اجتماعي أو خلل سياسي" (إسماعيل، المرجع السابق، ص215).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

3.2. الطرافة والغزل الفكه عند الغزال

يعد الغزل الفكه أحد أهم الملامح الأسلوبية المميزة لشعر "يحيى بن الحكم الغزال"، إذ استطاع أن يمزج بين الرقة العاطفية والطرافة اللغوية في قالب شعري يجمع بين المتعة والتلميح الذكي، ولم يكن الغزال شاعر غزل تقليدياً، بل طور نمطاً من الغزل يتجاوز التغني بالجمال الحسي، ليضيف إليه بعداً ساخراً يضحك القارئ بقدر ما يعجبه، من خلال تضخيم الصفات، وعكس الصور النمطية للمرأة، والسخرية من المواقف العاطفية بأسلوب مرح لا يخلو من فنية عالية، وكان حريصاً على تقديم ذاته في شعره كظريف مجلس لا كعاشق تقليدي، مما أضفى على غزله طابعاً محبباً، ومن أبرز أمثلة ذلك قوله في إحدى مقطوعاته: "وأحسنُ ما فيكِ أني كرهتُهُ وأعجبُ شيءٍ فيكِ أن لا أعجبا!" (الغزال، المرجع السابق)، وهذا البيت يجسد المفارقة الغزلية التي تضحك المتلقي وتعكس تردد العاشق وتقلبه، بصورة ساخرة وذكية.

وأشار "شوقي ضيف" إلى هذا اللون من الشعر بقوله: "يحيى الغزال من أوائل من مزجوا الغزل بالفكاهة، فخرج بشعره من دائرة التغني التقليدي إلى عالم الطرافة، حيث يوظف المفارقة والتهكم بمهارة، دون أن يفرط في جمالية الصورة الشعرية" (ضيف، المرجع السابق، ص72)، وهكذا، فإن الغزل الفكِه عند الغزال لم يكن انصرافاً عن الغزل الجاد، بل تجديداً فيه، يعكس تطور الذوق الأدبي الأندلسي، وميوله إلى كل ما هو مرح ومؤنس، دون الإخلال بالعمق أو البنية الفنية المحكمة.

وشكلت النوادر والمواقف الهزلية مكوناً بارزاً في شعر "يحيى بن الحكم الغزال" إذ أسهمت في ترسيخ صورته كشاعر ظرف يتمتع بسرعة بديهة، وقدرة على اقتناص المفارقات من تفاصيل الحياة اليومية وتحويلها إلى مواقف أدبية طريفة، وعرف عنه خفة ظله وذكاؤه في التعليق الساخر، ما جعله يخلف وراءه رصيداً من النوادر الشفهية والشعرية التي تداولها الرواة والأدباء، ودونتها كتب الأدب لاحقاً، وتتميز هذه النوادر بأنها ليست مجرد طرف مرسلة، بل تعتمد على بنية شعرية محكمة تتضمن تورية، ومفارقة، وسخرية خفيفة الظل.

وغالباً ما تنبع هذه المواقف من الاحتكاك بالواقع السياسي أو الاجتماعي، أو من التجارب الدبلوماسية التي خاضها الغزال بنفسه، كما في نكته المشهورة التي أوردها أثناء زيارته لبلاد الفرنجة، حين خاطب امرأة مترفة بلغة فيها مزاح وغزل ساخر يراعي ثقافة المكان، وهي رواية وردت في عدد من المصادر التراثية، ومنها يقول المؤرخ الأندلسي أحمد بن محمد المقري" أن "الغزال يلاطف الملوك

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ويضحكهم، وكان حاضر النادرة، لا يمر به مجلس إلا وترك فيه طرفة، وله في ذلك أشعار لذيذة، تدل على فطنته وظرفه" (المقري، المرجع السابق، ص187).

4. المطلب الرابع: الدلالات الوظيفة الترفيهية والساخرة للغزال

تؤدي الفكاهة في شعر "يحيى بن الحكم الغزال" وظيفة مزدوجة تجمع بين الترفيه والتعبير الساخر، وهو ما يعكس وعي الشاعر بجمهور متلق متنوع الثقافة، يتذوق الشعر لا بوصفه وسيلة للإبلاغ فقط، بل كأداة فنية تضحك وتنتقد وتمتع في آنٍ واحد، فقد كان الغزال حاضراً في المجالس الرسمية والخاصة، وأجاد أداء دور شاعر الظرف الذي يجيد التلاعب بالكلمات وتحويل المواقف العابرة إلى لحظات أدبية مرحة.

4.1. الوظيفة النقدية والإصلاحية

إن الفكاهة في شعر "يحيى بن الحكم الغزال" لم تقتصر على الترويح والتسلية، بل اتخذت بعداً نقدياً إصلاحياً يعبر عن وعي الشاعر بقضايا عصره، سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي أو الأخلاقي، وأشار "شوقي ضيف" إلى هذه الوظيفة قائلاً: "إن الغزال يعد من أوائل شعراء الأندلس الذين فهموا أهمية أن يكون الشعر وسيلة لإدخال السرور على القلوب، فكان يسلي مجالسه بشعرٍ ذكي مرحٍ، يجمع فيه بين الطرافة وخفة الروح، دون أن يخرج عن جادة البلاغة" (ضيف، المرجع السابق، ص69)، فقد استخدم الغزال الفكاهة بوصفها قناعاً بلاغياً يمرر من خلاله ملاحظاته الدقيقة حول مظاهر الخلل والانحراف في السلوك الفردي والجماعي، دون أن يصادم السلطة أو القيم العامة بشكل مباشر. وهكذا، تحولت السخرية إلى أداة إصلاح، تقوم على لفت الانتباه إلى العيوب، كما في قوله: "تُجادلُ باللفظِ الرصينِ وبالهوى وفعلكَ في الدنيا أضلُّ من الضَّلالِ!" (الغزال، المرجع السابق). ويرى "عز الدين إسماعيل" أن الغزال استخدم الفكاهة "كأداة إصلاح داخل النسق الثقافي الأندلسي، حيث كان الظرف سبيلاً للنقد، لا لتمييعه، بل لتقريبه إلى أذهان المتلقين بلغة مألوفة مقبولة" (إسماعيل، المرجع السابق، ص217)، ولعل هذا التوظيف الواعي للفكاهة جعل من شعر الغزال أنموذجاً للخطاب الأدبي الإصلاحي غير المباشر، وهو خطاب ينهل من البلاغة، ويعتمد على الذكاء، ويهدف إلى التقويم من دون صدام أو وعظ مباشر.

وتعبر الفكاهة في شعر "يحيى بن الحكم الغزال" عن أبعاد نفسية وثقافية عميقة، تتجاوز الوظائف الجمالية والبلاغية إلى ما هو أعمق، إذ تعكس حالته النفسية، من جهة، ووعيه بثقافة عصره، من جهة

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أخرى، وعلى الصعيد النفسي تظهر الفكاهة كوسيلة دفاعية راقية يستخدمها الغزال للتخفيف من وطأة الضغوط السياسية والإجتماعية، وللتعامل مع التناقضات اليومية التي تحيط به، لا سيما في ظل حياته الدبلوماسية التي تطلبت منه مرونة فكرية، وقدرة على التحايل اللغوي والمجازي. أما من الناحية الثقافية، فإن استخدامه للفكاهة يجسد الذوق الأندلسي الحضري الذي يميل إلى المزاح الراقي، والتعريض الذكي، والابتعاد عن الخطاب المباشر أو الحاد، ما يجعل شعره أنموذجاً للخطاب الأدبي الذي ينتمي إلى ثقافة مدنية متطورة تميل إلى النقد اللطيف والسخرية المهذبة، في مقابل العنف اللفظي والخطاب التقليدي الصدامي، وأشار "عبد العزيز حمودة"، قائلاً: "الفكاهة ليست مجرد مظهر فني، بل هي مؤشر على موقف نفسي وثقافي من العالم، وهي تمارس أحياناً بوصفها آلية دفاعية تجاه القبح أو الفساد أو التناقض (حمودة، 2003: ص241).

4.2. تمييز شعر الغزال بشعراء عصره

عند المقارنة بين "يحيى بن الحكم الغزال" وسائر شعراء عصره في الأندلس، يتبين أن الغزال كان أسبقهم إلى توظيف الفكاهة بوصفها عنصراً بنيوياً في النص الشعري، لا مجرد طرافة عابرة، فبينما كان كثير من شعراء الأندلس يقتفون أثر الشعر المشرقي في الشكل والمضمون، سعى الغزال إلى إدخال لمسة محلية تعبر عن المزاج الأندلسي الميال إلى الظرف والتسلية، وعلى عكس شعراء البلاط الذين كانوا يغلب عليهم الطابع الرسمي أو الخطابي، مثل "عبد الملك بن قريب الأصمعي"، أو المحدثين الذين اشتغلوا على المديح والهجاء المباشر، تميز الغزال بمرونة لغوية ومزج بين الجد والهزل، مما أكسبه شخصية فنية متفردة، وأن الغزال لم يكن كغيره من شعراء عصره، بل ابتكر له أسلوباً خاصاً يقوم على التلميح والفكاهة اللاذعة، في وقت كان فيه الشعر الرسمي مقيّدًا بقيود التقليد. (حسن، المرجع السابق، ص203).

أما إذا قورن الغزال بشعراء المشرق في الفترة نفسها فقد تفوق عليهم من حيث استخدام الفكاهة كخطاب اجتماعي ناقد، وليس كأداة هجاء أو لهو فحسب، مما جعله قريباً من المتلقي، ومعبراً عن بيئة ثقافية جديدة تتشكل في الأندلس، تختلف في مرجعياتها وذوقها عن بيئة الصحراء العباسية، ومن هذا المنظور، فإن الغزال مثل اتجاهاً جديداً في الأدب الأندلسي، يقوم على تطويع اللغة لا لإعادة إنتاج النماذج القديمة، بل لتوليد خطاب أدبي يجمع بين الطرافة والمعنى، وبين الالتزام الفني والتحرر من الصرامة التقليدية.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وتميزت تجربة "يحيى بن الحكم الغزال" الشعرية بتفرد واضح في البنية الأسلوبية والمضمون التعبيري، جعل منها أنموذجاً في مسار تشكل الشعر الأندلسي، بل في الثقافة الأدبية العربية عموماً، فقد استطاع الغزال أن يؤسس لنبرة شعرية خاصة به، تمزج بين الظرف السياسي والاجتماعي والبعد الجمالي في التعبير، دون أن يقع في فجاجة التهكم أو سطحية التسلية، وإذا كان معاصروه قد انشغلوا بأغراض تقليدية، مثل: المديح والهجاء والغزل الرتيب، فإن الغزال طور من إمكانات اللغة الشعرية لتشمل الفكاهة الراقية، والتعريض السياسي، والتصوير الاجتماعي المرِح، ما جعله يحدث انزياحاً نوعياً في وظيفة الشعر ذاته، فقد تحول شعره إلى خطاب يومي مرن، يلامس قضايا الإنسان ومزاجه، وينأى عن النمطية والمحاكاة، ومن هنا، فإن شعر الغزال لا يقرأ بوصفه إنتاجاً أدبياً فقط، بل وثيقة ثقافية تكشف طبيعة الحياة الأندلسية في طور تشكلها (عباس، المرجع السابق، ص41). كما يرى "شوقي ضيف" أن الغزال "أنشأ نوعاً من الشعر فيه من الذكاء بقدر ما فيه من الظرافة، فبدا شاعراً يكتب للحياة اليومية، لا للمناسبات الرسمية، ولهذا فإن تجربته تظل فريدة في قدرتها على جعل الشعر لغة الناس، لا مجرد أداة مدح أو هجاء" (ضيف، المرجع السابق، ص70).

إن شعر "يحيى بن الحكم الغزال" لا يمثل مجرد صوت أدبي مبكر، بل يجسد مرحلة ثقافية بكاملها، حيث بدأ الأدب الأندلسي يتحرر من سلطة الأنموذج المشرقي، ويتجه نحو تأسيس ذاته عبر نماذج شعرية أكثر تنوعاً ومرونة وذكاءً. وبهذا المعنى، فإن الغزال لا يعد شاعراً ظرفياً فحسب، بل رائداً ثقافياً صاغ من الفكاهة فلسفة فنية كاملة تستحق الدراسة والتأمل.

4.3. مقارنة الغزال بشعراء عصره في توظيف الفكاهة

تعد تجربة "يحيى بن الحكم الغزال" في توظيف الفكاهة من التجارب المؤسسة والمتميزة في الأدب الأندلسي، فعلى الرغم من أن الظرف والطرافة لم يكونا غريبين على الشعر العربي في عصور سابقة، فإن الغزال قدم أنموذجاً متفرداً من خلال دمج الفكاهة بالوظائف الجمالية والإجتماعية والسياسية للشعر، فعلى سبيل المثال: إذا قورن الغزال بشاعر مثل "عبادة بن ماء السماء" الذي عاش في بدايات القرن الثالث الهجري نجد أن عبادة وظف الفكاهة أحياناً في الهجاء أو في مقطوعات خفيفة، لكنها بقيت محصورة ضمن حدود المزاح الشخصي أو الفخر القبلي، ولم تتجاوز الأطر التقليدية للغرض الشعري، وفي المقابل، نجد أن الغزال استثمر الفكاهة كأداة نقد اجتماعي وثقافي، يمرر من خلالها رؤيته لما يجب أن يكون عليه المجتمع، مستخدماً في ذلك تقنيات بلاغية متعددة، مثل: المفارقة، والتورية، والتعريض، دون أن يبتعد عن الطابع الشعري.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أما بالمقارنة مع شعراء المشرق المعاصرين له، مثل: "أبي نُوَاس" فنجده استخدم الفكاهة والمجون أداة لكسر التقاليد الشعرية والإجتماعية، وتحرير اللغة من قيودها الأخلاقية، ومع أن الغزال يشترك معه في بعض المظاهر الشكلية، إلا أنه ظل ملتزماً بحدود الذوق الأندلسي المحافظ نسبياً، فكانت فكاهته رشيقة مهذبة، تميل إلى الذكاء أكثر من الجرأة، وتمثل وجهاً حضارياً مختلفاً في استخدام السخرية، إذ يرى إحسان عباس قائلاً: "كان الغزال أندلسياً في طبعه، مشرقياً في فنه، لكنه تفوق على أقرانه لأنه أدرك أن الذوق الأندلسي يحتاج إلى ترفيه لا يخلو من فكر، وإلى فكاهة لا تنزل إلى الابتذال (عباس، المرجع السابق، ص38).

وعند مقارنة الغزال بشعراء الأندلس الذين جاؤوا بعده، مثل: "ابن عبد ربه" نلحظ أن هذا الأخير قد استفاد من الغزال في توظيف الفكاهة ضمن العقد الفريد، لكن بشكل نثري أكثر، بينما كان الغزال قد سبق إلى تأسيس خطاب شعري يجمع بين الطرافة والبنية الشعرية المحكمة، وبالتالي، فالغزال لم يكن مجرد شاعر ظرف، بل كان صاحب مشروع أدبي قائم على جعل الفكاهة مكوناً عضوياً في النص الشعري، لا ملحقاً به (سعدون، 2022: ص332)، كما أن حضور الفكاهة في شعر الغزال لم يكن محصوراً في أغراض الغزل أو الهجاء، كما عند غيره من الشعراء، بل تجاوز ذلك إلى المجال الدبلوماسي والسياسي، كما ظهر في أشعاره التي نظمها خلال رحلاته الخارجية، وهو ما أضفى على تجربته بعداً واقعياً نادراً، وحول الفكاهة إلى خطاب ثقافي يحمل بين طياته ملامح الإنسان الأندلسي من جهة، وشخصية الشاعر الذاتية من جهة أخرى.

وبهذا المعنى، فإن الغزال لم يسبق شعراء عصره فقط في استخدام الفكاهة، بل أعاد تعريفها، ونقلها من كونها لوناً شعبياً أو جانبياً في الشعر، إلى كونها استراتيجية فنية وشعرية قائمة على الوعي، والمعالجة، والبناء البلاغي المحكم، وهذا التفوق لا يرتبط بقدرته على الإضحاك فقط، بل أيضاً بقدرته على توظيف الضحك في خدمة النص والرؤية معاً.

ويرتبط تفوق "يحيى بن الحكم الغزال" في توظيف الفكاهة بعدة عوامل، أبرزها شخصيته المتكاملة ثقافياً واجتماعياً؛ فقد كان مثقفاً واسع الاطلاع، عاش في بلاط "الحكم بن هشام وعبد الرحمن الأوسط"، وقد احتك بكبار رجال الدولة والعامة، ما منحه فهماً دقيقاً لطبيعة المجتمع الأندلسي في طور تكوينه، كما مكنته تجربته الدبلوماسية، لا سيما رحلته الشهيرة إلى القسطنطينية، من توسيع أفقه الأدبي، ومراكمة حس ساخر يوازن بين الاحترام والطرافة (أبي نصر، 1966: ص375).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وعلى المستوى الفني امتلك الغزال أدوات بلاغية متقدمة مثل التورية، والمفارقة، والمزج بين السخرية الجادة والهزل الخفيف، ما جعله يخلق تجربة فكاهية ذات بعدين: جمالي وناقد، وبهذا يكون قد سبق معاصريه في تطوير الفكاهة الشعرية من حالة انفعالية إلى بنية لغوية مقصودة ذات أثر نفسي وثقافي.

الخاتمة

إن "يحيى بن الحكم الغزال" لم يكن مجرد شاعر ظرف أو تابعاً للبلاط، بل كان شاعراً مثقفاً واعياً بأهمية الكلمة بوصفها أداة ترفيه ونقد وتوجيه، وقد تمكن من توظيف الفكاهة في سياقات متعددة غزلية، اجتماعية، وسياسية، وجعل منها عنصراً فنياً مركزياً في بنية القصيدة، لا مجرد تزيين هامشي.

الاستنتاجات

1- إن "يحيى بن الحكم الغزال" سبق عصره في وعيه بوظائف الفكاهة الأدبية، واستخدم اللغة بذكاء بلاغي للتعبير عن مواقفه دون مواجهة صريحة، حيث نقل الشعر من فضاء التقليد إلى فضاء الحياة اليومية، محملاً إياه أبعاداً إنسانية وثقافية واجتماعية.

2- بينت المقارنة بين "يحيى بن الحكم الغزال" وبين شعراء عصره في الأندلس والمشرق أنه أرسى نمطاً أدبياً جديداً يقترب من المزاج الأندلسي، ويؤسس لفكاهة ذات طابع محلي خفيف، نقدي، راقٍ، ومهذب.

3- دلت الظواهر الأسلوبية والموضوعية على المستوى النفسي والثقافي في شعر "يحيى بن الحكم الغزال" على أن الفكاهة كانت انعكاسًا لشخصيته المرحة المنفتحة، وثقافته الحضرية المتسامحة، المحبة، والرغبة في الإصلاح والنقد غير المباشر، عبر الكلمة الموحية لا الصدامية.

4- إن تجربة "يحيى بن الحكم الغزال" تقف في منزلة تأسيسية في تاريخ الأدب الأندلسي، وتشكل منطلقاً مهماً للباحثين في دراسة المزاج الثقافي للأندلس، والتطور التدريجي للشعر من محاكاة المشرق إلى التعبير عن الهوية المحلية.

المصادر

[1] أبي نصر، محمد بن فتوح. (1966). *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس*. الدار المصرية للتأليف والنشر. القاهرة.

[2] إسماعيل، عز الدين. (1999). *الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية*.

الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

[3] الجندي، علي. (2001). *الطرافة في الشعر الأندلسي*. دار الفكر العربي. القاهرة.

[4] حسن، حسن إبراهيم. (1964). *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*. ج4. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

[5] حمودة، عبد العزيز. (2003). *الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص*. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.

[6] الداية، محمد رضوان. (1993). *ديوان يحيى بن الحكم الغزال*. دار الفكر المعاصر. بيروت.

[7] ديوان يحيى الغزال. على الموقع الإلكتروني:

[8] https://www.aldiwan.net. Visited: 10/9/2025

[9] سعدون، غيداء أحمد. (2022). *الأرجوزة التاريخية لأبن عبد ربه الأندلسي: دراسة في البنية والأسلوب*. مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب. جامعة الأنبار. ج2. العدد 37. ص332.

[10] ضيف، شوقي. (1987). *الفكاهة في الأدب العربي*. دار المعارف. القاهرة.

[11] عباس، إحسان. (1983). *تاريخ الأدب الأندلسي*. دار الثقافة. بيروت.

[12] المقري، أحمد بن محمد. (1968). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. ج1. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر. بيروت.

[13] هونكه، زيغريد. (1993). *شمس العرب تسطع على الغرب*. ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي. دار الجيل. بيروت.